الكشف عن مدافن من خمسة آلاف عام في جنوب الظهران

للأستاذين :

عبد العزيز فهد النفيسة، عبدالله سليمان الهدلق

نبذة تاريخية :

كانت دراسة الجزء الشرقي من بلاد العرب والخليج العربي في مراحل عصور ما قبل التاريخ، مجالاً لعدد قليل من المؤرخين، كانوا يستندون على مادة تاريخية محدودة مثل كتابات بعض المؤرخين والجغرافيين الإغريق واللاتين، ومثل الشعر العربي القديم والروايات العربية المعتمدة على الأسانيد التاريخية.

وخلال الفترة الواقعة بين ٣٠٠ قبل الميلاد و ٢٠٠ ميلادية قام الكثير من الكتاب والمؤرخين والجغرافيين والرحالة «الكلاسيكيين» القدامى، بتسجيل دراساتهم ومشاهداتهم، ومن أشهر من كتب عن منطقة الخليج العربي، أو الساحل الشرقي للجزيرة العربية، هما «سترابو وبليني» وقد نقلا عن أسلافهما ومن سبقوهما من الكتاب.

وحين ظهر عِلْم الآثار على مسرح المنطقة في الخمسينات من القرن الحالي، بدأت الاستكشافات والتنقيبات تمد الباحثين بالمصادر الهامة، وتجيب عن بعض التساؤلات حول حضارة المنطقة في عصورها القديمة وتمكنت البعثات من التنقيب في أجزاء كثيرة من منطقة الخليج.

وقد أثبتت الدراسات الأولية أهمية هذا الجزء من الناحية الأثرية والتاريخية. (أنظر خارطة رقم «١» التي تبين موقع الظهران بالنسبة للخليج)، فلم يكن حقل المدافن في جنوب الظهران معروفاً حتى تم اكتشافه في عام ١٩٤٠م حيث قام الباحث كورنول (CORNWALL) بوصف هذه المنطقة أثناء عمله في منطقة مدافن البحرين، بأن أهم موقع في بلاد الإحساء عموماً هو الظهران وما جاورها، حيث يوجد آثار بناء حجري مدوّر عظيم، تعلو سطوح منحدراته الخارجية آلاف المدافن، من النمط الذي يرجع إلى العهد «البرونزي».

وخلال الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٤٠م ـ ١٩٧٥م ألقيت بعض الأضواء على منطقة المدافن في جنوب الظهران؛ حيث تم العثور على عدد كبير من المخلفات الأثرية.

وخلال عملية إنشاء مطار الظهران الدولي ١٩٦٠م تعرض هذا الموقع إلى إزالة عدد كبير من المدافن «التلال» الأثرية.

وفي عام ١٩٦٢م قام ببيي (BIBBY) من البعثة الدنمركية بإجراء مجسات، أسفرت عن الكشف بالتشابه الحضاري، والتزامن

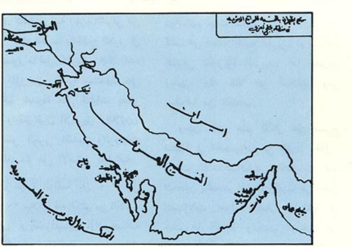

موقع الظهران بالنسبة للمواقع الأثرية في منطقة الخليج العربي.

التاريخي، مع المدافن في البحرين في الجهة المقابلة من الخليج العربي.

وفي عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م قام فريق الإدارة العامة للآثار والمتاحف بعمل مجسات، أطلق عليها «مشروع مسح الألف الثالث قبل الميلاد»، وتم اختيار عدد من المواقع، كان من ضمنها منطقة جنوب الظهران؛ حيث تم الكشف عن عدد من المدافن.

وفي عام ٢١٣٩٧هـ/١٩٧٧م قام فريق المسح الأثري التابع للإدارة بزيارة المنطقة؛ حيث قام بإعداد خارطة لمنطقة المدافن، وأجرى إحصاء تقريبي لعدد التلال كانت حصيلته ١٥٠٠ تل.

وفي عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م قامت الإدارة بعمل حفرية إنقاذية، لأكبر عدد من المدافن بعد أن أصبح الموقع مهدداً بالزحف العمراني، كذلك تم إجراء عملية إحصاء لتلك التلال كانت حصيلتها ٩٠٠ تل، وقد أمكن خلال هذا الموسم، الذي يعد الموسم الأول حفر وإنقاذ «٢٢» تلاً، كما أنه في هذا الموسم تم تقسيم الموقع إلى منطقتين « أ » في الجهة الشرقية من الموقع، و« ب » في الجهة

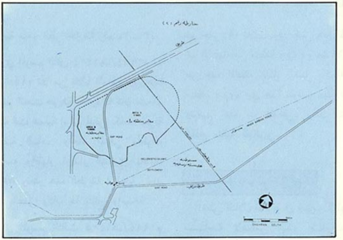

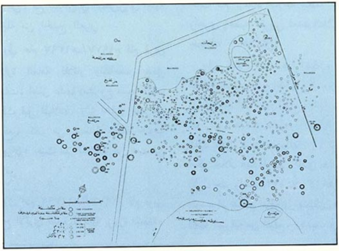

الغربية منه، انظر الخارطة رقم «٢ ــ ٣».

وفي الموسم الثاني ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م تم حفر «١٤» تلا من تلال المدافن وفي هذا الموسم اتبعت طريقة مغايرة لما كان متبعاً، حيث تمت عملية إبراز المدفن بكامله لمعرفة حقيقة البناء، واتجاه المدفن وأطواله وحجمه وإظهار الجدار الدائري (RING WALL) وتعتبر هذه الطريقة نموذجية، وقد تمت بالفعل وكان لها نتائج واضحة.

وفي الموسم الثالث ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م تم حفر «٩» تلال، وفي نفس هذا الموسم تم الانتهاء من منطقة « ب » وبعد الانتهاء من هذه المنطقة انتقل العمل بأكمله إلى منطقة « أ »، وفي هذا الموسم تمت عملية وترميم عدد من المدافن، وذلك لتكون نماذج مثالية للزائرين.

وصف عام للموقع الأثري :

تغطى التلال الأثرية في جنوب الظهران مساحة لابأس بها، قدرت بـ

(٩٠٠م × ١٤٠٠م)، وقد تم إحصاء تقريبي لتلك التلال في عام ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م، كما سبق أن ذكرنا، والذي كانت حصيلته ١٥٠٠ تل تقلصت إلى ٩٠٠ تل في عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

وبغض النظر عن تلال المدافن المنتشرة، وعلى مايبدو فإن تلك التلال تتواجد على ارتفاع مغاير لماحوله، ويظهر ذلك واضحاً بأن السكان القدامى اختاروا المواقع المرتفعة لدفن موتاهم؛ تجنباً لغرقها وانجرافها. وذلك ناتج عن الزحف العمراني لذلك الموقع.

فكان العمل في تلك المواسم الثلاثة الماضية يأخذ صفة الإنقاذ، وهدفه الحصول على أكبر قدر من النتائج العلمية والتاريخية واللقى الأثرية.

وفعلاً تم العثور على نتائج باهرة وعظيمة الأهمية، من حيث المعثورات المنقولة والثابتة.

التلال :

تبتعد التلال عن بعضها في المناطق الكثيفة من ٢ ـ ١٠م ويبلغ ارتفاعها من ٢/١م لتصل أحياناً إلى ٥م. ويتراوح نصف قطرها من ٢م إلى ٢٠م وغالبيتها مابين ٤م ـ ٨م.

وتتخذ التلال عادة شكل قبة، نتيجة لكيفية بناء المدفن داخلها والوضع الذي اتخذه الجدار الدائري، ولعوامل التعرية التي أعطتها سطحاً أملساً، تكسوه حجارة ملساء أيضاً، وتنبت فوق هذه التلال الأعشاب البرية، التي تستمد غذاءها من المواد العضوية الآدمية.

طريقة الحفر :

كانت الطريقة المستعملة في الحفر بأخذ مجس علوي فوق التل والنزول به حتى الوصول إلى غطاء المدفن (CAPSTONE) ثم فتح المدفن.

أما في عامي ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م و١٤٠٥هـ/١٩٨٥م فلقد استخدمت طريقة نموذجية، وذلك بتقسيم التل إلى أربعة أقسام متساوية، ثم الحفر في أحد أجزائه، ونقوم بتتبع الظواهر المعمارية للمدفن حسب امتداده، صورة رقم «١» مما يجعلنا في بعض الأحيان نقوم بتجسيد

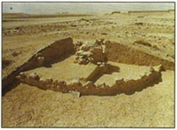

صورة رقم «١» تل رقم ٢٢ب أثناء الحفر والكشف عن الربع الأول من التل.

المدفن كاملاً، ثم نقوم بعد ذلك بفتح المدفن، وذلك برفع الغطاء الحجري ثم النزول في المدفن طبقة طبقة.

طريقة بناء المدافن :

يأخذ المدفن عادة الامتداد من جهة الغرب إلى جهة الشرق تقريباً، فبذلك تكون الجهة الغربية هي المدخل الرئيسي للمدفن، والدليل على ذلك وجود القرابين وبعض المدافن الكبيرة التي تمتاز بوجود عتبات ووجود هياكل عظمية آدمية كاملة، أما في الجهة الشرقية فتوجد كميات كبيرة من العظام المتراكمة فوق بعضها؛ وذلك مما يدل على أنهم استعملوا تلك المدافن لعدة فترات، وذلك بإزاحتهم للعظام القديمة، الموجودة في الجهة الغربية، ووضعها في الجهة الشرقية، لكي يتم وضع جثة جديدة، ويتراوح عدد الهياكل العظمية في المدافن الكبيرة من ٥٠ ـ ١٠٠ هيكل .

ومن الملاحظ أن البناء لتلك المدافن يتسع في قاعدته التي يصل عرضها إلى حوالي ١٢٠سم تقريباً، ويضيق في أعلاه عند الغطاء (CAP STONE) وذلك لكي يسهل وضع حجارة الغطاء وتكون الحجارة المستعملة في البناء مهذبة من الداخل، وقد استعمل الطين في الربط بين الحجارة ببعضها.

وبعض المدافن تمتاز بوجود غرف دفن جانبية تابعة للمدفن الرئيسي، ومدافن جانبية تكون عادة صغيرة وملتصقة بالجدار الدائري (RING WALL) الذي يحيط بالمدفن الرئيسي صورة رقم «٢».

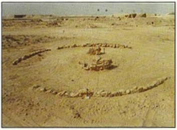

صورة رقم «٢» التل ٢٧ب بعد انتهاء أعمال الكشف ويتضح المدفن المركزي وبقايا الجدار الدائري.

وتتخذ تلك المدافن خاصة المدافن الرئيسية عدة أشكال منها شكل (I.U.F.T.L.) وقد تصل إلى ثلاثة مدافن رئيسية في سور واحد.

«المعثورات» :

المدافن بشكل عام غنية بالمعثورات الأثرية، مع الأخذ في الاعتبار أن أيدي العابثين ولصوص الآثار لم تسلم منهم تلك المدافن، سواء في العصور القديمة أو الحديثة المعاصرة.

وأهم تلك المعثورات هي الأواني الفخارية، وأواني الحجر الصابوني، وسلال سعف النخيل المطلية بالقار، والأختام والحلى والمجوهرات، كالخرز والذهب والأسورة والخواتم) ورءوس السهام والرماح، والعاج والعظام، والمباخر والأصداف.

وبعد تصنيف هذه المعثورات، وعمل الدراسات اللازمة لها، وجدت أنها تتماثل مع ماعثر عليه في مدافن البحرين، وفيلكا بالكويت، وهذا دليل على الترابط بين مجتمعات الخليج العربي بشكل عام.

الفخار :

الفخار من أهم ماعثر عليه، وذلك لتشابهه مع ماعثر عليه في مدافن البحرين.

ومن أشكال تلك الأواني :

١ ـ الأنواع الخالية من الرسومات والزخارف.
٢ ـ الأواني ذات الشكل الكمثري.
٣ ـ الأواني ذات الحواف المرتدة.
٤ ـ الأواني ذات الفوهة المتسعة.
٥ ـ الأواني ذات العنق القصير.
٦ ـ الأواني المزججة.

إن التشابه في المعثورات من الفخار خلال حفريات جنوب الظهران، لم يقتصر على ماعثر عليه في حفريات البحرين فقط، بل هنالك تشابه كبير مع ماعثر عليه في فيلكا بالكويت، وفي الإمارات العربية المتحدة وعمان، وإيران وفي تونس «سوسة» صور رقم «٣ـ٤ـ٥ـ٦ـ٧».

السلال المطلية بالقار :

تم العثور على بعض السلال المصنوعة من سعف النخيل، والمغطاة بمادة القار من الداخل والخارج، لتأخذ شكلاً منتظماً،

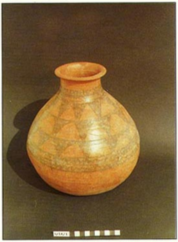

صورة رقم «٣» جرة فخارية ذات عجينة حمراء عليها رسوم هندسية وخطوط متعرجه.

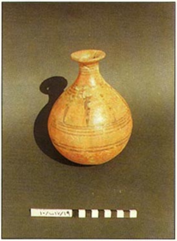

صورة رقم «٤» جرة فخارية ذات عجينة حمراء وعنق ضيق ويلاحظ الحزوز والرسوم الهندسية عليها.

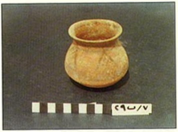

صورة رقم «٥» اناء فخاري ذو فوهة مرتدة.

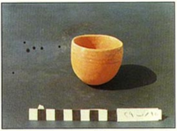

صورة رقم «٦» كأس فخاري وتبدو عليه خطوط ورسوم هندسية.

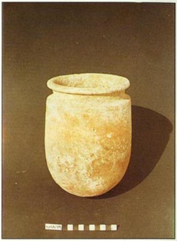

صورة رقم «٧» اناء فخاري اسطواني الشكل.

وليحول ذلك دون تسرب السوائل التي توضع بداخلها.

الأختام :

تعد الأختام من أهم المعثورات التي لها دلالتها التعبيرية الفنية والدينية، وكذلك وظيفتها التجارية، وهي من الناحية الحضارية أيضاً لها أهميتها الخاصة، كدليل أثري بالنسبة لتأكيد الاتصالات التجارية والحضارية بين المجتمعات الخليجية آنذاك، وذلك لأنها تعطى دلالات هامة عن تاريخ المنطقة، وتلقي الضوء على تاريخ الجزيرة العربية بشكل عام، ومنطقة جنوب الظهران بشكل خاص، وهذه الأختام تتشابه مع ماعثر عليه في البحرين وفيلكة، ولكن حتى الآن لم يتم العثور على انطباعات طينية.

ومن أهم الأختام أختام أسطوانية ودائرية، وأصداف بحرية وجعران صور رقم «٨-٩».

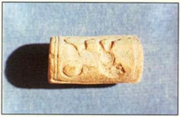

صورة رقم «٨» ختم اسلواني من الجص المحروق عليه نقش عبارة عن أسد غائر.

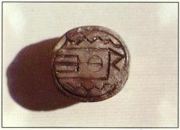

صورة رقم «٩» ختم دائري عليه نقوش حفر غائر قطره ١,٢سم.

أما بالنسبة للحلي والمجوهرات، ورءوس السهام والرماح، والعاج والأصداف والمباخر، فهي تعود إلى فترات تاريخية، وتضم نماذج مختلفة صور رقم «١٠-١١-١٢-١٣».

صورة رقم «١٠» مبخرة من الطين المحروق.

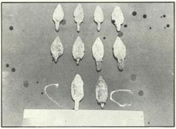

صورة رقم «١١» رؤوس سهام نحاسية.

صورة رقم «١٢» بعض أدوات الحلي والزينة.

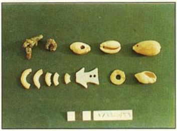

صورة رقم «١٣» بعض من الصدف والعاج للحلي والزينة.

يظل الأمل معقوداً على ماستكشفه معاول الباحثين، مما تحويه هذه المدافن من كنوز ونفائس مستقبلاً.

■ ■ ■

المراجع:

(١) حفريات البعثة العربية د/ معاوية إبراهيم.
(٢) منطقة الخليج العربي د/ سليمان سعدون البدر.
(٣) التقرير المعد من قبل الإدارة لعام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
(٤) المعجم الجغرافي «المنطقة الشرقية» حمد الجاسر.